بسم الله الرحمن الرحيم

الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة

للقاضي الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري
(٨٢٤ - ٩٢٦هـ)

حقق النص وقدم له
الدكتور مازن المبارك
رئيس قسم اللغة العربية
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الكتاب ١٢٩
الطبعة الأولى ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م
جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلاّ بإذن خطي من دار الفكر المعاصر

لبنان ـ بيروت ـ ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون ، ص . ب ٩١٤٩٧
ص . ب (١١٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جليلة المضمون ، تطاول أعمال المجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلّف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفياء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

هذا وكان المركز قد أصدر في العام الماضي من المنشورات بالتعاون مع دار الفكر المعاصر رسالة تتضمن قصيدة الظهير الإربلي بعنوان (الصبر مطية النجاح) بتحقيق الأستاذ الدكتور مازن المبارك ، شفعها بكتاب (مشيخة أبي المواهب الحنبلي) بتحقيق الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

ويوالي اليوم نشر إصداراته فيقدم كتاب (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) للقاضي زكريا الأنصاري بتحقيق الأستاذ الدكتور مازن المبارك رئيس قسم اللغة العربية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز

بين يدي الكتاب

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يرضاه، وينيلني رضاه. والصلاة والسلام على نبيّه ومصطفاه، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تعود صلتي بالشيخ الصالح زكريّا بن محمّد الأنصاري إلى أكثر من ربع قرن حين كنت أتردّد على المكتبة الظاهرية في دمشق حيث اطّلعت فيها على كتاب لطيف صغير الحجم، عنوانه «اللؤلؤ النظيم في روم التعلّم والتعليم». فدفعني عنوانه إلى قراءته، وكان على هامشه رسالة في التعريف بعدد من الألفاظ الفقهية لغةً واصطلاحاً. فقرأت بعضها ورحت أطلب ترجمة الشيخ الأنصاري في كتب التراجم، فشدّني إليه ما طالعته وعرفته عنه من صلاح وتقوى مقرونين بالعلم والعمل، ومن حرص على الوقت واستثمار لكلّ لحظة من لحظاته في عبادة أو تعلّم أو تعليم أو تأليف.

ثمّ حالت الشواغل بيني وبينه حتى أعادني إلى تلك الصلة بعض طلّابي. فقد حقّق تلميذي الدكتور نسيب نشاوي ـ رحمه الله ـ رسالة للأنصاري هي الدقائق المحكمة في شرح المقدّمة الجزرية، وحقّق تلميذي الأستاذ محمد التكريتي رسالة الأنصاري «تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمدّ والقصر» ثمّ سجّل في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق رسالة لنيل درجة الدكتوراه بإشرافي، وكان موضوعها تحقيقاً ودراسة لكتاب «بلوغ الأرب في شرح شذور الذهب» لزكريا الأنصاري. وهكذا عادت صلتي بالأنصاري وسيرته، وزدت تتبعاً لأخباره، فعزمت على تحقيق رسالته التي كنت قرأتها على هامش «اللؤلؤ النظيم» لما لها من الصلة بتطوُّر دلالة الألفاظ عامّة والألفاظ الإسلامية خاصّة، والفرق بين المعنى الوضعي والمعنى الاصطلاحي ـ وهو موضوع كنت ألقيه على طلّاب قسم اللغة العربيّة في مقرّر فقه اللغة ـ ولما في تحقيقها من تأكيد الصلة القديمة بالشيخ، ولما في نشرها من نفع لطلّاب الدراسات الإسلامية والعربية.

وإنّي لأتمنّى أن يتصدّى باحث قادر مخلص لوضع كتاب يفرده لسيرة الأنصاري لما في ذلك من منافع:

منها أنّها سيرة تفسّر لنا معنى (البركة) في العمر. فالعمر خطوات محدودة، وساعات معدودة، لا يزيد ولا ينقص ﴿فإذا جَاءَ أَجَلُهم لا يَسْتَأْخِرونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمُوْنَ﴾ ولكن البركة شيء آخر، فكم من رجل كالطبريّ والأنصاريّ أنتج في عمره ما لا ينتجه رجال ذوو أعمار، وكم من رجل عاش طويلاً ولم يترك لنا كثيراً ولا قليلاً.

ومنها أنّها سيرة ترسم للأجيال قدوة، وتفتح للفقراء باب الأمل، فقد كان الأنصاريّ طفلاً يتيماً، وصبيّاً معدماً، يتستّر بسواد الليل ليأكل ما يرمي به الناس من قشر البطيخ، ولكنّه صبر وأخلص، وأعرض عن الدنيا، ووهب نفسه للعلم، ونظّم وقته، فلم يلبث أن أصبح شيخ مشايخ الإسلام، وقاضي القضاة، وعلَم العلماء، وإمام الزاهدين، وأقبلت عليه الدنيا، فكانت تدرّ له ألوفاً، ينفقها على الفقراء وطلبة العلم، وخلّف للأمة تراثاً علميًّا في الأصول والفقه والتفسير والقراءات والتجويد والحديث والمنطق والعربية.

وهذه الرسالة التي أضعها اليوم بين أيدي القراء رسالة جمع الشيخ زكريا الأنصاري فيها قُرابة مئتين من الألفاظ التي يتداولها الفقهاء وبيّن معانيها اللغوية الوضعية ثم معانيها الاصطلاحية في الفقه عامة وفقه الشافعية خاصة، مشيراً إلى ذلك بقوله عقب إيراد التعريف: عندنا؛ لأنه كان من أئمة الشافعية.

وقدّمت للنصّ بحديث موجز عن حياته، ثم عرضت آثاره، وهي مكتبة جمعت ضروباً من العلم تنبىء بمنزلة الأنصاري وفضله. ثم ألحقت بالرسالة فهرساً لغوياً رتبت ألفاظها فيه على حروف الهجاء.

وبعد، فما كان في عملي من صواب فبفضل الله وحده، وما كان فيه من زلل فمن نقصٍ في الطبع مستولٍ على البشر، أسأل الله أن ينفع بها قارئها، وأن يغفر لي تقصيري فيها، رحم الله مؤلّفها ونفع بعلمه. والحمد لله رب العالمين.

دبي: ١٧ شوال ١٤١٠

١٢ أيّار ١٩٩٠

مازن المبارك

الشيخ زكريا الأنصاري

هو زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمّد بن زكريّا الأنصاري الخزرجيّ نسباً، السُّنَيْكيّ المصري مولداً، والشافعيّ مذهباً. ولد في قرية سنيكة بمصر عام ٨٢٤ هـ، ورحل إلى القاهرة، وقصد الأزهر عام ٨٤١ هـ، وغادر مصر إلى الحجاز حيث حجّ عام ٨٥٠ هـ. ورزق بأولاد عرفنا منهم ثلاثة بأسمائهم، هم: محيي الدين أبو السعود يحيى بن زكريّا، وهو الذي كنّي به أبوه، وكان يعينه في قراءته وكتابته، بعدما أسنّ وضعفت يده، وكَلَّ بصره. ولكنه مات سنة ٨٩٧ هـ، قيل بالطاعون، وقيل غرقاً في النيل[١]، وافتقده أبوه، واشتدّ حزنه عليه حتّى فقد بصره في العقدين الأخيرين من حياته[٢].

وأمّا الثاني من أولاده فمحبّ الدين أبو الفتوح محمد بن زكريّا[٣].

وأمّا الثالث فجمال الدين يوسف بن زكريّا، وكان شيخاً عالماً صالحاً أخذ العلم عن أبيه[٤]. نقل الغزي عن الشعراني أنّه حضر معه على والده شرح رسالة القشيري، وشرح آداب القضاء وآداب البحث، وشرح التحرير، وغير ذلك، وتوفّي عام ٩٨٧ هـ[٥].

---

(١) كما ذكر الجمل والبجيرمي محشّيا منهج الطلاب.
(٢) انظر ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٢٢٥.
(٣) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٧/٢٢٤.
(٤) الكواكب السائرة ١/١٩٩.
(٥) انظر ترجمته في الكواكب السائرة ٣/٢٢١.

To: www.al-mostafa.com

وعرفنا رابعاً ذكره ابن إياس، ولم يسمّه، فقال عن الشيخ زكريا: إنّه خلّف ولداً ذكراً من جارية سوداء[1]. وعرفنا من أحفاد القاضي الشيخ زكريّا الأنصاري حفيده المعروف بـ«حفيد القاضي زكريّا»، وهو زين العابدين بن محيي الدين بن وليّ الدين بن جمال الدين يوسف بن زكريّا بن محمّد الأنصاري السُّنَيْكي المتوفّى سنة ١٠٦٨ هـ[2]. وهو الذي ألّف على بعض مصنفات جده القاضي كتاب «النكت اللوذعية على شرح الجزرية» و«المِنَح الرّبانيّة في شرح الفتوحات الإلهية». و«شرحُ الجزرية» و«الفتوحات الإلهية» كتابان للشيخ زكريّا، سيأتي تفصيل الحديث عنهما في آثاره[3].

ومات الشيخ زكريّا عام ٩٢٦ هـ عن مئة وسنتين[4]، ودفن قريباً من قبر الإمام الذي انتسب إلى مذهبه، وكان من أئمته وأعلامه، وهو الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، بعد أن ترك ثروة علمية شاهدة على علمه وفضله.

نشأ الأنصاري في قريته يتيماً فقيراً، وقامت على رعايته أمّ صالحة، أسلمته إلى شيخ صالح[5] تكفّل به، فحفظ القرآن، وعمدة الأحكام[6]، ثمّ رحل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر سنة ٨٤١ هـ، وعانى الفقر والحرمان، حتى هيّأ الله رجلاً صالحاً رعاه وتكفّل به. وقد حدّثنا عن هذه المرحلة من حياته، فقال: «جئت من البلاد وأنا شابّ، فلم أعكف على الاشتغال بشيء من أمور الدنيا، ولم أعلّق قلبي بأحد من الخلق. وكنت أجوع في الجامع كثيراً، فأخرج في الليل إلى الميضأة وغيرها، فأغسل ما أجده من قشيرات البطّيخ حوالي الميضأة وآكلها، وأقنع بها عن الخبز، فأقمت على ذلك سنين، ثمّ إنّ الله تعالى قيّض لي شخصاً من أولياء الله تعالى، كان يعمل في الطواحين في غربلة القمح، فكان يتفقّدني، ويشتري لي ما أحتاج إليه من الأكل والشرب والكسوة والكتب»[7].

---

(١) بدائع الزهور ٥/٣٧١.

(٢) انظر ترجمته في هدية العارفين ١/٣٧٩.

(٣) انظر ما سيأتي في ص: ٣٠ وص: ٤١.

(٤) ترجيحاً لرواية ابن إياس الذي حضر جنازته.

(٥) ذكر الغزي أنه الشيخ الصالح المعتقد ربيع بن الشيخ المصطلم عبد الله السلمي الشنباري ـ الكواكب السائرة ١/١٩٦.

(٦) انظر تفصيل ما قرأه قبل رحلته إلى القاهرة في الضوء اللامع ٣/٢٣٥.

(٧) طبقات الشعراني ٢/١٢٣، والكواكب السائرة ١/١٩٦.

وما زال الرجل في علم يزداد، وجَدّ يصعد حتّى تبوّأ منزلة رفيعة في عصره، فنعت بزين العابدين، ومحيي الدين، وشيخ الإسلام، وقاضي القضاة، وعلاّمة المحققين، وسيّد الفقهاء والمحدِّثين، الحافظ، المخصوص بعلوّ الإسناد، والعالم العامل، والوليّ الكامل.

ووصفه تلميذه الشعراني، فقال: «خدمته عشرين سنة، فما رأيته قطّ في غفلة، ولا اشتغال بما لا يغني لا ليلاً ولا نهاراً»[1].

ووصفه معاصره السخاويّ، فقال: «ولم ينفكّ عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة والانجماع عن بني الدنيا، مع التقلّل وشرف النفس، ومزيد العقل، وسعة الباطن والاحتمال والمداراة إلى أن أذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء»[2].

وقال الغزّي: «وكان ـ مع ما كان عليه من الاجتهاد في العلم اشتغالاً واستعمالاً وإفتاءً وتصنيفاً، ومع ما كان عليه من مباشرة القضاء ومهمّات الأمور وكثرة إقبال الدنيا ـ لا يكاد يفتر عن الطاعة ليلاً ونهاراً، ولا يشتغل بما لا يعنيه، وقوراً، مهيباً، مؤانساً، ملاطفاً، يصلّي النوافل من قيام، مع كبر سنّه وبلوغه مئة سنة، ويقول: لا أعوّد نفسي الكسل، حتّى في حال مرضه كان يصلّي النوافل قائماً، وهو يميل يميناً وشمالاً، لا يتمالك أن يقف بغير ميل للكبر والمرض»[3].

وتجاوز الأنصاري المئة من عمره وما زال قائماً بالعلم والتدريس، فلقد مات سنة ٩٢٦ هـ. وفي أخبار بعض طلابه أنّهم رحلوا إليه وأخذوا عنه عام ٩٢٥ هـ[4].

شيوخه

شيوخ الأنصاريّ الذين أخذ عنهم، أو قرأ عليهم، أو أجازوه أكثرُ من أن يُحْصَوْا، وقد عرفنا منهم العشرات، وعرفنا ما قرأه على الكثيرين منهم. ولو وصل

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٢٢.

(٢) الضوء اللامع ٣/٢٣٦

(٣) الكواكب السائرة ١/٢٠٢

(٤) انظر ترجمة الصفدي ـ وهو بدر الدين حسن بن محمد ـ في الكواكب السائرة ٣/١٤٠

إلينا ثَبت شيوخه ومجيزيه لعرفناهم تفصيلاً، فقد وضع الأنصاري ثبتاً ذكر فيه أولئك الشيوخ، فكانوا يزيدون على مئة وخمسين[1]. على أن في ترجمة الأنصاري خاصّة، وتراجم معاصريه من الشيوخ والعلماء عامّة ما يساعد على معرفة الكثيرين منهم.

ولا عجب في كثرة الشيوخ الذين تخرّج الأنصاريّ بهم، وأخذ عنهم، وقرأ عليهم، فلقد كان طُلْعة محبًّا للعلم منذ صباه، وكانت العلوم التي صرف همّه لها متعدّدة متنوعة، فأخذ عن طوائف العلماء والمقرئين في عصره القرآن والقراءات والعقيدة والتفسير والفقه والأصول والحديث والنحو والصرف والبلاغة، كما قرأ الحساب والجبر والمقابلة والهندسة وعلم الهيئة والميقات. بل لقد أخذ الطبّ عن شرف الدين بن الخشّاب. وفيما يلي أشهر الذين أخذ عنهم من الشيوخ.

ـ : محمّد بن الربيع، والبرهان الفاقوسي البلبيسي، وهما اللذان قرأ القرآن عليهما حتّى حفظه.

ـ : الإمام زين الدين أبو النعيم رضوان بن محمّد العُقْبي[2] الشافعيّ الحافظ المصريّ المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ. قرأ عليه للأئمة السبعة، والشاطبية، والرائية، وسمع عليه بعض التيسير للداني، ومسند الإمام الشافعيّ، وصحيح مسلم، والسنن الصغرى للنسائي، ومعاني الآثار للطحاوي.

ـ : الإمام ابن حجر العسقلانيّ شهاب الدين أحمد بن عليّ[3] المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ. أخذ عنه الفقه والحديث والأصول، وقرأ عليه السيرة النبوية لابن سيّد الناس، والسنن لابن ماجة. ومات ابن حجر قبل أن يتمّه، وسمع منه أكثر صحيح البخاري.

ـ : والمَجْدي شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن رجب[4] المتوفّى سنة ٨٥٠ هـ، وكان من أبرز علماء عصره في الفرائض والحساب والفلك. أخذ عنه

---

(١) الكواكب السائرة ١/١٩٨.
(٢) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٢٦
(٣) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٢/٣٦ وهدية العارفين ١/١٢٨
(٤) انظر ترجمته في بغية الوعاة: ١٣٢ وهدية العارفين ١/١٢٨

الفقه والفرائض والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والميقات.

ـ : والحجازي شمس الدين محمّد[1] بن محمّد المتوفّى سنة ٨٤٩ هـ. وكان عالماً بالفرائض والحساب، قرأ عليه مختصر الروضة.

ـ : والبلقيني[2] علم الدين صالح بن سراج الدين المتوفّى سنة ٨٦٨ هـ، وكان إماماً في الفقه والحديث.

ـ : والكافِيجَي محيي الدين أبو عبد الله محمّد بن سليمان[3] النحوي الصرفيّ الذي كثر انصرافه إلى الكافية حتى نسب إليها، والمتوفّى سنة ٨٧٩ هـ. أخذ عنه العربية والأدب والأصول والمعقولات.

ـ : والمراغي[4]، شرف الدين أبو الفتح، الفقيه المحدّث المتوفّى سنة ٨٥٩ هـ. أخذ عنه بمكّة حين حجّ في سنة ٨٥٠ هـ[5].

ـ : وابن فهد، تقيّ الدين أبو الفضل محمّد بن محمّد المؤرّخ الشافعيّ المتوفّى سنة ٨٧١ هـ[6].

ـ : وتقي الدين الحصكفيّ. قرأ عليه العربية والأصول والمعقولات.

ـ : والبلبيسيّ الإمام المقرىء نور الدين عليّ بن محمّد. قرأ عليه للأئمة السبعة. وحفظ عليه وعلى ابن الربيع القرآن كما ذكرنا.

ـ : وأبو إسحاق إبراهيم بن صدقة الحنبلي. قرأ عليه صحيح البخاريّ.

ـ : وسارة ابنة ابنِ جماعة. قرأ عليها في المعجم الكبير للطبراني.

ـ : وأبو إسحاق الصالحي. قرأ عليه كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.

---

(١) الضوء اللامع ٥١/٩ وشذرات الذهب ٢٤١/٧

(٢) الضوء اللامع ٣١٢/٣

(٣) الضوء اللامع ٢٥٩/٧ والبغية: ٤٨ وشذرات الذهب ٣٢٦/٧

(٤) الضوء اللامع ٢٣٥/٣

(٥) خلافاً لما جاء في ص ٢٦ من مقدمة التحقيق لكتاب فتح الرحمن من أن حجه كان في سنة ٨٨٥. كيف وشيخه المراغي الذي أخذ عنه مات سنة ٨٥٩؟!

(٦) البدر الطالع ٢٥٩/٢

ـ : والنويري زين الدين طاهر بن محمّد. قرأ عليه للأئمة الثلاثة، زيادة على السبعة.

ـ : والقاياتي شمس الدين محمّد بن عليّ. قرأ عليه أوّل شرح البهجة، والمطوّل، وعلوم البلاغة، وسمع عليه صحيح البخاريّ.

ـ : والبدشيني، شمس الدين محمّد بن علي. والغزّي شهاب الدين أحمد بن محمد.

ـ : والسُّبكي موسى بن أحمد، والوفائي شمس الدين محمّد بن إسماعيل. قرأ عليهم جميعاً الفقه.

ـ : والكيلاني محمّد بن أحمد. قرأ عليه تصريف العزّي للتفتازاني.

ـ : والبخاري شمس الدين محمّد بن محمّد. قرأ عليه شرح الطوالع.

ـ : وقرأ علي شمس الدين الشرواني شرح المواقف، وقرأ الشمسيّة علي زين الدين جعفر العجميّ، كما قرأ على المناوي، والبامي، وابن الهمام، والأبّدي، والشُّمُنّي، وابن الخشّاب.

وأخذ في التصوّف والذكر عن أبي العباس أحمد بن علي الانتكاوي، وأبي الفتح محمّد بن أحمد الغزي، وأبي حفص عمر بن علي النبتيتي، وأحمد بن عليّ الدمياطي المعروف بابن الزلباني، وأبي الفرج عبد الرحمن بن عليّ التميمي، وعن الشيخ محمد بن عمر الواسطي الغمري[1].

تلاميذه

وكذلك كان طلّابه لا يُحصون عدداً، فقد كانوا يقصدونه من الحجاز والشام وغيرهما. «وكان رضي الله تعالى عنه بارعاً في سائر العلوم الشرعيّة وآلاتها حديثاً وتفسيراً وفقهاً وأصولاً وعربية وأدباً ومعقولاً ومنقولاً، فأقبلت عليه الطلبة للاشتغال

---

(١) ترجمته في الطبقات الكبرى ٢/١٢١

انظر في أسماء من لم أشر إلى تراجمهم: الضوء اللامع ١/١٩٨ و٣/٢٣٥ والكواكب السائرة ١/١٩٧ و١٩٨ وتاريخ النور السافر ١١٢ ـ ١١٣

عليه، وعُمّر حتى رأى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه شيوخَ الإسلام، وقرّت عينه بهم في محافل العلم ومجالس الأحكام»[1]. وصار أُمْثَلَ أهلِ زمانه، وأرأس العلماء من أقرانه، ورزق البركة في عمره وعلمه وعمله، وأعطي الحظَّ في مصنّفاته وتلاميذه، حتى لم يبق بمصر إلّا طلبته، وطلبة طلبته، وقرىء عليه شرحه على البهجة سبعاً وخمسين مرة، حتى حرّره أتمّ تحرير، ولم يُنقل ذلك عن غيره من المؤلّفين»[2].

وممّن تخرّج به من علماء عصره الشعرانيّ عبد الوهّاب بن أحمد المتوفّى سنة ٩٧٣ هـ وهو الذي خصّ شيخه الأنصاري بترجمة ضافية في كتابه المشهور بالطبقات الكبرى، وقال: إنّه لازمه عشرين سنة[3]. ونور الدين المحلّي، وشهاب الدين عميرة البُرُلُّسي، وبدر الدين العلائي[4]، وشمس الدين الرملي، ووالده شهاب الدين الرملي[5]، وكان من طلّابه المقرّبين حتى إنه أذن له أن يصلح في كتبه في حياته وبعد مماته. وشهاب الدين محمد بن عليّ بن حجر البهتيمي مفتي الحجاز المتوفّى سنة ٩٧٤ هـ[6]. وشمس الدين محمّد بن أحمد المعروف بالخطيب الشربيني[7] (ـ ٩٧٧ هـ). وجمال الدين عبد الله الصافي، وكمال الدين بن حمزة الدمشقي، وبدر الدين الغزّي، ووالده رضي الدين الغزي، وبدر الدين السيوفي مفتي حلب، وشهاب الدين الحمصي، وشمس الدين الشبلي، ونور الدين النسفي، وعزّ الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد[8]، ومحمّد بن سالم الطبلاوي[9]، ومحمّد بن أحمد الحصكفي[10] المتوفى سنة ٩٧١ هـ، وعلي بن أحمد القرافي[11]، وبدر الدين حسن بن محمّد الصفدي[12]، وغيرهم كثير.

---

(١) الكواكب السائرة ١/١٩٨
(٢) المصدر السابق ١/٢٠١
(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٢٢ وانظر ترجمة الشعراني في شذرات الذهب ٨/٣٧٢
(٤) ترجمته في شذرات الذهب ٨/٢٥٠
(٥) ترجمته في الكواكب السائرة ٢/١١٩
(٦) ترجمته في تاريخ النور السافر: ٢٥٨
(٧) ترجمته في شذرات الذهب ٨/٣٨٤ وفيه أنه محمد بن محمّد.
(٨) الكواكب السائرة ١/٢٣٩
(٩) الكواكب السائرة ٢/٣٣
(١٠) الكواكب السائرة ٣/١٠
(١١) الكواكب السائرة ٣/١٤٠
(١٢) الكواكب السائرة ٣/١٨٢

تصوفه

وصف الشيخ زكريّا الأنصاري بالتصوّف. أشار إلى ذلك بعض من ترجموا له، وأفاض بعضهم في ذكره. والصوفية صفة أطلقت على خلق كثيرين. وفهمُ الناس لهذا الوصف متباين، ومواقفهم منه متباعدة، ولا شكَّ أنّ منطق العقل، ومنهج العلم ألاّ نقبل الأحكام العامّة، وألاّ نعمم الأحكام، فما لا يصدق على واحد قد يصدق على آخر، والذين وُصِفُوا بالصوفية متباينون تديّناً وسلوكاً وعقلاً وعلماً؛ فمنهم العبّاد والزاهدون، ومنهم علماء عاملون، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك. وهم ليسوا سواءً فيما صدر عنهم من قول وعمل، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

والشيخ الأنصاريّ وُصِف بالمتصوّف أو الصوفيّ، وتحدّث عن تصوّفه تلميذه الشعراني في «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» المعروف بالطبقات الكبرى[1]، والحنفي في «فتح الباري فيما اختصّ الله به الشيخ زكريّا الأنصاري»، وقال: إنّه «الشيخ الإمام المفيد المطلق[1]، العالم العلاّمة، القدوة الفهّامة، المحقّق المدقّق، الكنز المفيد المطلق، الورع الزاهد العابد، الذي صرف سائر عمره في اشتغالٍ بالعلم والعمل، الفقيه الحافظ المحدِّث المفسّر، الوليّ الصالح الصوفيّ، الحَبْر النِّحرير، البحر الزاخر الراسخ العارف بالله تعالى، الكبير، قاضي القضاة»[2].

وذكر السخاويّ والغزّي أسماء من أخذ عنهم الأنصاريّ الذكرَ والتصوّف من شيوخ عصره، وقراءته كتاب «قواعد الصوفية» على مؤلفه الغمري[3] وجاء في الحديث عن آثاره أنّه وضع شرحاً على الرسالة القشيرية[4]، وشرح رسالة الولي رسلان[5]، ووضع كتاباً سمّاه «الفتوحات الإلهية في نفع ذوات الأرواح الإنسية»[6].

ويبدو أن طريقة القوم كانت غالبة على الشيخ أيام صباه، ثمّ غلب عليه حبّ العلم فانصرف إليه، فجمع بين الذكر والعبادة سلوكاً شخصيًّا، والعلم طلباً له، ثمّ

---

(١) الطبقات الكبرى ١٢٢/٢ وما بعدها.
(٢) فتح الباري: الورقة ٣
(٣) الضوء اللامع ٢٣٥/٣ و ٢٣٦. والكواكب السائرة ١٩٨/١
(٤) انظر «إحكام الدلالة» فيما سيأتي (ص: ١٩).
(٥) انظر الحديث عنه في ص: ٣٧
(٦) انظر ما سيأتي في ص: ٤١

تعليماً وتأليفاً. قال الغزّي نقلاً عن الشعراني: إن الشيخ كان مكبّاً على مطالعة رسائل القوم مواظباً على مجالس الذكر، ولمّا اشتغل بالعلم وبرع فيه بحمد الله تعالى شرح البهجة[1]... وهو خبر رواه الأنصاري نفسه فيما حكاه عن نفسه، فقال: «ومن صغري وأنا أحبّ طريق القوم، وكان أكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم والنظر في أحوالهم، حتى كان الناس يقولون: هذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع. فلمّا ألّفت كتاب شرح البهجة وفرغت منه استبعد ذلك جماعة من الأقران...»[2].

واستمرّ الشيخ بعد ذلك في طريق العلم، فوضع كتبه المعروفة في الفقه والأصول والقراءات والحديث وغيرها ممّا سيأتي في الحديث المفصّل عنها في آثاره[3]؛ كما بقي على سلوكٍ مستقيم في العبادة، يلتزمها فرضاً، ويلزم نفسه أداءها نفلاً. وخرج إلى الحياة الاجتماعية، فشارك في مناصبها في الأوقاف، وفي القضاء، وكان في ذلك الفقيه التقيّ، والورع الجريء، والقاضي الوقّاف عند حدود الله.

ولعلّ خير ما يجلو لنا موقفه من المتصوّفة ما قاله حين ذكر رأيه في العارفين من المتصوّفة ومنتقديهم، وهو أنّه «لا يخلو علماء الأمة عن ثلاثة أحوال، لأنه إمّا أن يوافق الكتاب والسنّة، وإمّا أن يخالف صريح الكتاب والسنة. فإن وافق يجب اعتقاده جزماً، وإن خالف فيحرم اعتقاده جزماً. وإمّا ألّا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته، فأحسن أحواله التوقّف فيه»[4].

وهذا موقف هو إلى العدل والإنصاف ما هو.

---

(١) الكواكب السائرة ١/١٩٨

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٢٢

(٣) انظر ص: ١٩

(٤) فتح الباري: الورقة ١٥

مصادر ترجمة الأنصاري

المؤلف	سنة الوفاة	الكتاب
السخاوي	٩٠٢ هـ	الضوء اللامع
ابن إياس	٩٣٠	بدائع الزهور
الشعراني	٩٧٣	لواقح الأنوار (الطبقات الكبرى)
العبدروسي	١٠٣٨	تاريخ النور السافر
الحنفي	بعيد ١٠٤٥	فتح الباري[1]
الغزّي	١٠٦٣	الكواكب السائرة
حاجي خليفة	١٠٦٧	كشف الظنون
ابن العماد	١٠٨٩	شذرات الذهب
الشوكاني	١٢٥٠	البدر الطالع
البغدادي	١٣٣٩	هدية العارفين
سركيس	١٣٥١ = ١٩٣٢ م	معجم المطبوعات العربية
بروكلمان	١٣٧٥ = ١٩٥٦ م	تاريخ الأدب العربي
الزركلي	١٣٩٦ = ١٩٧٦ م	الأعلام
كحّالة	١٤٠٨ = ١٩٨٧ م	معجم المؤلفين
د. النشاوي		مقدمة التحقيق للدّقائق المحكمة (شرح المقدمة الجزرية)
د. عبدالسميع محمد أحمد حسنين		مقدمة التحقيق لفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن

(١) فتح الباري فيما اختصّ الله به الشيخ زكريا الأنصاري لمؤلفه مراد بن يوسف الحنفي الأزهري، كتاب مخطوط في ٢٩ ورقة بسراي المغاربة في الأزهر برقم ١١٦٨ فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٥ هـ ومنه نسخة مصوّرة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبيّ.

آثار الأنصاري

للشيخ زكريا الأنصاري كتب ورسائل كثيرة لم يستقص أحد ممن ترجموا له أسماءها ولم يحص عدّها، وأنت واجد عند كل منهم كتاباً أو أكثر مما انفرد بذكره. ولست واجداً عند أحد منهم ثبتاً مستوعباً لها، ومن العسير الآن أن نجزم بعدد كتبه وأسمائها لأن كثيرين من المؤلفين والمترجمين كانوا يشيرون إلى بعض كتبه دون ذكر أسمائها التي وضعها لها مما جعل للكتاب الواحد اسمين أو أكثر، أضف إلى ذلك أن الأنصاري نفسه كان يضع على الكتاب الواحد شرحين أو شرحاً وحاشية ـ كما سنرى عند عرضنا لآثاره ـ فالتبست الإشارات إلى تلك الكتب واختلطت على أقلام المترجمين.

ونورد فيما يلي قائمة بأسماء آثاره التي عرفناها مشيرين إلى أننا في شك من أن بعضها مكرر، ولعل مما يساعد على الترجيح أن الرجل كان يضع لكتبه عنوانات مسجعة:

١ ـ إحكام الدلالة على تحرير شرح الرسالة.

وهو شرح على الرسالة القشيرية ذكر الشعراني[١] أنه قرأها على المؤلف، وقال الحنفي[٢] إن الأنصاري شرح رسالة الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري في جزأين[٣]، وقال محقق فتح الرحمن «شرح الرسالة القشيرية في أربعة أجزاء كبار» طبعت حديثاً[٤]. وأما اسم الكتاب «إحكام الدلالة...» فلم يذكره سوى البغدادي في هدية العارفين وقال إنه مطبوع[٥].

٢ ـ الآداب.

نسب صاحب كشف الظنون كتاباً باسم (الآداب) إلى الشيخ زكريا الأنصاري، فقال تحت عنوان «علم آداب البحث»: آداب القاضي زكريا[٦]. كما نسب إليه

---

(١) طبقات الشعراني ٢/١٢٢.
(٢) مراد بن يوسف الحنفي صاحب «فتح الباري فيما اختص الله به الشيخ زكريا الأنصاري».
(٣) فتح الباري. الورقة: ٣.
(٤) مقدمة فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ٥٠
(٥) هدية العارفين ١/٣٧٤ وانظر بروكلمان ـ الملحق ٢/١١٨ فقد ذكر أن للأنصاري «تهذيب الدلالة».
(٦) كشف الظنون ١/٤١

شرحه «فتح الوهّاب»[1]. وكذلك فعل البغدادي حين عدّد آثار الأنصاري في هديّة العارفين فذكر كتاب (الأداب) على رأسها[2]، ثم أكّد ذلك حين ذكر شرحه «فتح الوهاب» فقال: «فتح الوهاب بشرح الآداب له»[3]. والأداب غير كتاب «آداب القاضي» الذي ذكره أيضاً كل من صاحبي الكشف والهدية[4].

واكتفت طائفة من العلماء بنسبة الشرح إلى الأنصاري؛ فقال السخاوي: «فتح الوهاب شرح فيه آداب البحث»[5]، وقال الشعراني: «له شرح آداب البحث»[6]. وقال الغزي: «له شرح آداب البحث، في الجدل»[7]. وقال العيدروسي إنه شرح آداب البحث وسمّاه فتح الوهاب بشرح الآداب[8]. وكان الأنصاري نفسه قد أشار إلى الشرح حين قال في «الحدود الأنيقة» وهو يتحدّث عن العقل: «كما بيّنته في شرح آداب البحث»[9] على أن القطع بأن للأنصاري كتاباً باسم الآداب أو آداب البحث على نحو ما ذكر في كشف الظنون وهدية العارفين ليس ممكناً لأن فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية بالقاهرة نصّ على أن فتح الوهّاب للأنصاري هو شرح لرسالة آداب البحث للسمرقندي[10]! ومن الجدير بالذكر أن صاحب كشف الظنون حين تحدث عن كتاب آداب البحث للسمرقندي أورد أسماء طائفة كبيرة من العلماء الذين وضعوا عليه الحواشي والشروح ولم يرد بينهم ذكر للشيخ الأنصاري. ولم أستطع الحصول على صورة من نسخة الكتاب الذي أشار إليه فهرس المخطوطات مما حال بيني وبين القطع بصحة نسبة كتاب الآداب إلى الأنصاري وهي التي ذكرها صاحبا كشف الظنون وهديّة العارفين.

---

(١) كشف الظنون ١/١٢٣٦

(٢) هدية العارفين ١/٣٧٤

(٣) المرجع السابق.

(٤) كشف الظنون ١/٤٧ وهدية العارفين ١/٣٧٤

(٥) الضوء اللامع ٣/٢٣٦

(٦) الطبقات ٢/١٢٢

(٧) الكواكب السائرة ١/٢٠٢

(٨) النور السافر: ١١٤

(٩) انظر ص: ٦٧

(١٠) فهرس المخطوطات، صنعة فؤاد السيّد ٢/١٧٢. والسمرقندي هو شمس الدين محمد بن أشرف الحسيني من رجال القرن السابع ـ صحّح الزركلي وفاته فجعلها بعد ٦٩٠ هـ ـ وكتابه آداب البحث من أشهر الكتب في موضوعه.